السلّم الحجاجي في كتابِ الإمام عليّ (عليه السلام) لمالك الأشتر لمّا ولاّه مصر

المدرس

رجاء محسن حمد

مديرية تربية النجف

المقدّمة

فقد تناول كتاب أمير المؤمنين لمالك الأشترالسّياسي الفذ والزّعيم المحنك أمور الحكم وإستراتيجية إدارة دولة عندما ولاّه على مصرَ فكان من أفذاذ الصحابة وأكثرهم وفاء وإخلاصا.

وقد استند (عليه السلام) في كتابه إلى الحجاج الذي يعدُّ الآليةُ الأبرز للوصول إلى مستويات إقناعية ، فإن مطالبة المتلقي للمشاركة في اعتقاد المرسل لا تتسم بالإكراه ، وإنما تتبع سبلا استدلالية متنوعة وظيفتها الإقناع برأي المحاور ، عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلم ، وكانت السّلالم الحجاجية من تلك الوسائل التي تَعْمدُإلى توظيف فئة حجاجية ؛ تكون بمنزلة دعامة استدلالية لغرض المرسل الذي من أجله كانت العملية التّخاطبية ، فكانت ظاهرة مميزة استعان بها الإمام للتأثير والاقناع وإيصال المقاصد الحجاجية التي يريدها في تعاطيه مع قضايا عصره ، لدرايته العالية بالخطاب ودواعيه ، وتأسيسا على هذا كان اختيار هذه المدونة لتكون حقلا لهذه الدّراسة الموسومة (السُلم الحجاجي في كتابِ الإمام عليّ (عليه السلام) لمالك الأشتر لّما ولاّه مصر) .

وقد تجلت مظاهر السُلم الحجاجي في كتاب أمير المؤمنين لمالك الأشتر بثلاثة أساليب لغوية (الرّوابط الحجاجية ، والعوامل الحجاجية ، والصّيغ الصرفية) وعليه توزع البحث على ثلاثة مباحث هي ، المبحث الأول بعنوان (تدرّج الحجج بالروابط الحجاجية) ، والثاني بعنوان (تدرّج الحجج بالعوامل الحجاجية) ، والمبحث الثالث (تدرّج الحجج بالصّيغ الصّرفية) سبقتها مقدمة وتمهيد أوضح فيه مفهوم السّلم ، وتلتها خاتمة وثبت بالمصادر والمراجع وملخص باللغة الإنكليزية .

تمهيد

مفهوم السُّلم الحجاجي وقوانينه

تتمثل العملية الحجاجية في أن يقدم المتكلم مجموعة من الحجج التي تقود إلى نتيجة واحدة ، وهذه الحجج لا تتعدد فحسب بل إنها تتفاوت في القيمة الحجاجية أيّ في قوتها الدّلالية والتّأثيرية في التّوجيه الخطابي للقصد الذي يروم المتكلم الوصول إليه(١) ، وإن تعدد الحجج غير المتساوية في الطّاقة التي تؤهلها للوصول الى النتيجة هو الذي استدعى نظرية السُّلم الحجاجي التي تناولهاأوزفالدديكرو في كتابة السّلالم الحجاجيةIesecheIIesargumentativesوعرّفها بأنها ((علاقة تراتبيّة للحجج))(٢) وهذا التّرتيب للحجج يُحدد وفقا للسياق ومقتضيات المقام التي تُلزم المتكلم اعتماد تسلسل للحجج بحسب قوتها وما لذلك من أهمية في تدرّج الحوار ؛ لإثبات الرأي الصائب .

فالسُّلم الحجاجي : مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية قوامها الشرطين الآتيين(٣) :

(أ) كلُّ قولٍ يقع في مرتبة ما من السُّلم الحجاجي يلزم عنه ما يقع تحته ، إذيلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه .

(ب) كلّ قولٍ في السُّلم يُعّد دليلا على مدلول معين ، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه .

ولفهْم الخطاب الحجاجي وفاعليته في تقديم الحجج بهذه التّراتبيّة نقف على قوانين السّلم الحجاجي الذي تحكمه مع التّمثيل لها :

الأول : قانون الخفض : ونصَّ هذا القانون على أنّه ((إذا صدق القول في مراتب معينة من السّلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها))(٤).

ففي قوله (عليه السلام) : (وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَغَاشٌ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ)(٥) الخطاب لا يستلزم معنى بأن (تكون في أقصى درجات السّرعة) فيكون التأويل (تمهّل أو تأنّى في تصديق ساعٍ) هو المعنى المستلزم للحجة .

الثاني : قانون تبديل السُّلم : والمراد به ((إذا كان القول دليلا على مدلول معين ، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله))(٦)

ومثال ذلك قوله (عليه السلام) : (ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ...فَإِنَّ ذلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لله وَلِمَنْ وَلِيتَ أَمْرَهُ)(٧)

إن نفي إحدى الحجج يؤدي إلى نفي المراد من الخطاب ، أيّيمكن أن ينفي اختيار الصالحين من كتّابه إذا نفى نصيحته لله أو لمن ولى أمره .

الثالث : قانون القلب : ويقصد به ((إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين ، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول))(٨).

ويمكن التمثيل لهذا القانون بقوله (عليه السلام) : (وَلْيَكُنْ آثَرُرُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بما يسعُهُمْ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ)(٩)

فحجة الإفاضة على الجند بل جعل العطاء شاملا لمن تركوهم في الدّيار أقوى دلالة على أفضلية المتصف بها من رؤساء الجند من حجة المساعدة وتقديم المعونة .

فنفي تقديم المعونة دليل أقوى على عدم الأفضلية من نقيض الإفاضة على الجند وجعل العطاء شاملا لمن تركوهم في الديار.

ويتحقق الحجاج بالسّلم الحجاجي باستعمال أدوات لغوية ، وآليات شبه منطقية يمكن تلخيصها بالآتي(١٠) :

الأدوات اللغوية كالروابط الحجاجية (لكن ، حتى ، فضلا عن ، ليس كذا ، فحسب ، أدوات التوكيد ، ودرجات التوكيد ، والإحصاءات ، وبعض الآليات التي منها الصّيغ الصّرفية ، مثل التّعدية بأفعل التفضيل ، والقياس ، وصيغ المبالغة).

وسنقف على ما تجلى من مظاهر السّلم الحجاجي في كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام).

المبحث الاول

تدرّج الحجج بالرّوابط الحجاجية

الحجاج خطاب لساني تداولي ، يعتمد الحجة المنطقية لإقناع الآخرين والتّأثير فيهم بما يُعرض عليهم من أطروحات ، فهو تفاعل بين طرفي الخطاب ، لا يكتفي

فيهالمُرسِل بالإخبار بل يقصد توجيه المحاجَج وجهة معينة في موقف محدد وعليه ركّزت التّداولية على علاقات الاتّساق والأدوات اللسانية المحققة له ، فكانت ((الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز ، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها))(١١)، وهي تستدعي السّياق للإشارة لنتيجة تؤدي بالذّهن للتسليم بها أو تزيد في درجة قناعة المتلقي بها ، وتسهم العناصر اللغوية في ربط مفاصل الكلام فتنشأ العلاقة الحجاجية المطلوبة فتضمن تسلسل الخطاب بوساطة ربطها المضمون الحجاجي لقول ما والنتيجة المترتبة عليه أيّ تعمل على توجيه المحاججة فيعدّ عنصرا من عناصر انسجام الخطاب وتماسكه ، وقد تتعدد الحجج في مقابل النتيجة الواحدة فتضطلع هذه المؤشرات اللغوية بدور حجاجي يتمثل بالرّبط بينها ضمن هدف إقناعي واحد ، وأن التّراتبيّة الحجاجية التّدرجيّة يمنحها الرّابط الحجاجي على وفق سُلّم حجاجي ينتقل من الحجة القوية الى الحجة الأقوى ، إلى الأكثر قوة ، ولكل رابط دلالة معينة إنما تتحدد بحسب السياق الذي يرد فيه ، لذلك سنعمد إلى دراسة أهم الرّوابط الواردة في كتاب الإمام (عليه السلام) على وفق تقسيم هذه الرّوابط على الاقسام الآتية : -

١. روابط التّعارض الحجاجي
٢. روابط التّساوق الحجاجي
٣. الرّوابط المدرجة للحجج
٤. الرّوابط المدرجة للنتائج
٥. روابط العطف الحجاجي

١. روابط التّعارض الحجاجي

الرّابط الحجاجي (لكن)

حرف يفيد ((الاستدراك والتّوكيد))(١٢) يربط بين قولين متغايرين نفيا أو إيجابا ((ومعنى الاستدراك ، أن تنسب حكما لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها ... وهي لا تقع إلا بين متنافيين))(١٣) ؛ لتوليد معنى جديد متعلق بالمتقدم الذي يسير في اتجاه معين تتحدد دلالته بوساطة (لكن) التي ترد لرفع التّوهم عن كلام سابق

ارتبط معه لكنه خالفه في الحكم فغيّر مسار المعنى ووسّع دائرته فهو من النّاحية الحجاجية ربط حجاجي تداولي بين متقدم (معطى) ومتأخر (نتيجة) ومثّله أصحاب النظرية الحجاجية بأن المتكلم يقدم (أ) و (ب) بوصفهما حجتين عند التّلفظ بأقوالمن نمط (أ) لكن (ب) ، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة (ضمنية) معينة (ن) ، والحجة (ب)تتجه الى نتيجة معاكسة تتمثل بـ (لا ـ ن) ،يعتمدها المتكلم كحجة أقوى ، تغيّر مسار الخطاب بمجمله(١٤) ، فتنحصر النتيجة النهائية بها ومن أمثلة ورودها في كتاب الإمام : (ثُمَّ لاَ يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَوَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِبِتَصَنُّعِهِمْوَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، لَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْاَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَاعْمِدْ لاِحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالْاَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لله وَلِمَنْ وَلِيتَ أَمْرَهُ)(١٥) فقد وردت (لكن) مقرونة بالواو بعد النفي بـ (لا) إذ توسّطت بين النفي والإثبات وهذا أحسن موقع لها وقد تحقق الاستدراك هنا بأن نسب لما بعدها (أختبرهم بما ولوا للصالحين) حكما مضادا ومخالفا لحكم ما قبلها (لا يكن اختيارك إياهم على فراستك و استنامتك)فمعنى الاستدراك يستلزم مخالفة أو مناقضة ما بعد (لكن)لما قبلها(١٦).

وهنا الرّابط الحجاجي قد ربطبين حجتين ، الأولىالتي تسبق الرّابط ومضمونها (لا يكن اختيارك إياهم على فراستك) توجه القول نحو نتيجة ضمنية مفادها (عدم الاحتكام الى الاختبار والتجريب) والحجة الثانية بعد الرّابط (اختبرهم بما ولوا الصالحين) متضمنة نتيجة مخالفة للنتيجة السابقة (لا ـ ن) أيّ (لايكن اختيارك إياهم على فراستك) ، ولقوة الحجة الثانية سيكون لها الأثر الفاعل في توجيه القول برمتهإلى النتيجة (لا ـ ن) .

وهنا بيّن الإمام (عليه السلام) أهمية اعتماد الاختبار الوثيق في اختيار الكتّاب فهم من أهم الموظفين في جهاز الدولة وتقع على عاتقهم مسؤولية كتابة ما يصدر عن الوالي من قرارات (إقتصادية وعسكرية) ، وغيرها مما يتعلق بأمور المسلمين ، فالحجة الاولى في قول الإمام عليّ (عليه السلام) قد اقترنت بالنفي وأُكّدت بنفي آخر (ليس وراء

ذلك من النّصيحة والأمانة شيء)وبالرغم من ذلك لا ترتقي لتحقيقإقناع ، لمخالفتهاتوقعات المتلقي بحسب ما يُملي عليه الظاهر ، وقد ورد الرّابطلدفع التّوهم والتّردد في تقبّل فكرة عدم الاعتماد على الفراسة ، وحسن الظن ، ولا على ما يبدونه هؤلاء من الخدمات لجلب مودة الوالي ؛ لأن ذلك ليس له أيّ وزن في ترشيحهم لهذه الوظيفة المهمةبماتضمنته الحجة بعد الرّابط من قوة تأثيرية مصدرهاالرّابطالحجاجي الذي أفاد الاستدراك للإفصاح عن الطريقة المثلى لاختيارهم وهنا نجد أن الإمام (عليه السلام) قد أحدث فصلا في المفاهيم بين (الظّاهر / المضمر) ، أيّ بين (الكفاءة في العمل / وانعدام الكفاءة والتّكلف بإجادة الصّنعة) .

فاعتماد الظّاهر قد يكون في حقيقته وجوهره تصنعا ، تحقيقا لمآربهم وانتهازا للفرصة فقد يُظهرون النُّصح ويضمرون التّهاون في أعمالهم .

ثم عملالرّابطان (الفاء ، والواو) على الرّبط بين حجتين أوقضيتين تدوران في المحور نفسه وردتا بعد الرّابط (لكن) وقد دعمت الحجة بعد الرّابط (الفاء) (فإن ذلك دليل على نصيحتك لله) النتيجة المتمثلة (بأن الاختبار والتّجريب الطّريقة المثلى لاستخلاص أحسنهم وآمنهم عملا).

وما يهمُّ هنا هو بيان ما للرابط الحجاجي (لكن) من أثر في هذا الارتقاء ، وصولا إلى قمة السّلم الحجاجي .

وفي موضع آخر يقول الإمام (عليه السلام) : (وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْه عَدُوُّ كَ لله فيه رِضىً، فإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وأَمْناً لِبِلاَدِكَ، وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِه، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ)(١٧)

عملالرّابط (لكن) تعارضا حجاجيا بين ماجاء قبله وما ورد بعده ، فالحجة الأولى (لا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك) تخدم نتيجة ضمنية من قبيل (أقبل الصّلح إذا دعا إليه العدو) ، ولأن الحجة بعيدة عن قبول المتلقي وحصول الإقناع بها، أكدها (عليه السلام) بمؤكدات عدة (نون التوكيد ، إنّ) وذِكْر فوائد الصّلح ففيه راحة للجيش من الجهد العسكري وللوالي من هموم العمليات العسكريةفضلا على

ما للصلح من استقرار وأمن للبلاد من التّعرض لتبعات الحرب ، ثم جاءالرّابط(لكن) لتصحيح توجّه المتلقي فيما تردد أو توهم في تقبلهبوساطة الاستدراكوهذا ما أفصحتعنه الحجة الثانية بعد الرّابط (الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه) التي استلزمت نتيجة ضمنية من قبيل (قبول الصّلح مع التّرقب بيقظة وحذر) ثم أثبتالرّابط (الفاء) قوة الحجة التي جاءت بعده (فإن العدو ربما قارب ليتغفل) في دعم النتيجة ،فالتّراتبيّة الحجاجيةالتي منحها (الفاء) إلى الحجج قد عزّزقوة النتيجة (الصّلح مع الحيطة والحذر) ، وهنا نتوصللنتيجة ضمنية أقوى من النتيجتين السّابقتين هي أن الاسلام يدعو إلى السّلم وعدم سفك الدماء وإزالة وسائل الخوف والارهاب جميعهاوإشاعة لغة الحوار مع ضرورة التّرقب لأيٍّ طارئ.

الرّابط الحجاجي (بل)

حرف رابط بين الحجج المتعارضة فهو ((من الحروف الهوامل ومعناها الاضراب عن الاول والايجاب للثاني))(١٨) يستعمل للإبطال والحجاج فيأتي ((لتدارك كلام غلط فيه ... ويكون لترك شيء من الكلام وأخذ غيره))(١٩) ، أي ربط بين صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض(٢٠) ، ومن أمثلة ورودها في كتاب الإمام (عليه السلام) : (فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَم حَرَام، فَإِنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ)(٢١).

إن (بل) الواردة في المثال أفادت الإعراض لتوسطهابين حجتين ، فأقامالرّابط علاقة حجاجية بين الحجة الأولى (فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه) والنتيجة الضمنية (إراقة الدماء تنخر السّلطة وتصدّع أركانها فعلى الرغم من تواجدها تصبح ضعيفة) ، وعلاقة حجاجية ثانية تسير بالاتجاه المعاكس لهذه النتيجة وهي (يزيله وينقله) والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة (إراقة الدماء تهد السلطان وتعدمه بالكامل) ، وهنا أضاف الاستدراك بالرّابط (بل) قوةللحجة التي وردت بعده لتعزز النتيجة المضادة (لا ـ ن) التي أصبحت نتيجة الخطاب بمجمله ؛ لأنّ الحجة التي ترد بعدها أقوى من الحجة التي تسبقها في إفادة المعنى الكلي وإقامةالحجة ،ولكون الإمام(عليه السلام) قد شدد في عهده على ضرورة حفظ دماء المسلمين وحرمة سفكها وحذر من أن

يقوي ولاته سلطانهم بإراقة الدماء نلحظ ثمة ضربا من الترقي في صوغ الحجة من التأكيد بنون التوكيد إلى (إنّ) إلى الإضراب بـ (بل) ، التي تنسف كل حكم سابق قبلها ، وتؤكد ما يليها وتقرره خاصة إذا كانت مسبوقة بنفي (٢٢) ، وقد أسهمت (بل) في إقامة سلم حجاجي بوساطة النفي لما يسبقها ، وهو درجة أولى في الحجاج والإثبات لما يليها ، وهو أرقى درجة في السّلم لما له من قيمة إقناعية .

٢. روابط التساوق الحجاجي

الرّابط الحجاجي (حتى)

رابط حجاجي يعمل على إقامة علاقة تراتبيّة للحجج ، يحدد بموجبه مراتب القول ودرجاتها ، أيّ يقوم بـ ((إدراج حجة جديدة أقوى من الحجة المذكورة قبله ، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة ، لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة))(٢٣) ، أيّ تتفقان على منح النتيجة قوة حجاجية تحقق الإقناع للمتلقي .

وتأسيسا على هذا أقر (ديكرو) أن ((الحجج المربوطة بواسطة هذا الرّابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة ، أي أنها تخدم نتيجة واحدة ، والحجة التي ترد بعد هذا الرّابط تكون هي الأقوى لذلك فإن القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي))(٢٤) ، وقد تأتي (حتى) على وجوه إما ناصبة ، أو جارة ، أو حرف ابتداء ، أو عطف(٢٥) ، فقد تستعملفي مقام واحد لدلالات عدة ، كقول الإمام (عليه السلام) :(وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ الله كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِه، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لله حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَويَتُوب)(٢٦) ، فقد احتملالرّابط الحجاجي الغاية والتّعليل ، فقد يدلُّ على التّعليل أيّ ما قبله سبب لما بعده فيكون مرادفا لـ (كي) التعليلية ، وهنا يمكن أن نعدَّ ما قبله حجة وما بعده نتيجة ، فمما عهد الإمام (عليه السلام) لمالك إنصاف الناس في سياسته وعدم الانحياز غير المسوّغ ، فإن ذلك من أرفع ألوان العدل الذي تبناه الإمام في حكومته ، فالحجة التي قدمها (عليه السلام) أن الله يكون خصم الإنسان الظالم ويبطل حجته كي يقلع عن ظلمه أو يتوب من ظلم الناس ، وقد تستعمل (حتى) للغاية فتكون بمعنى (إلى) فحكم ما بعدها يكون مخالفا لحكم ما قبلها ، فالحجة قبلها أفادت الخصومة من الله للظالم

والحجة بعدها تقرر ترك الظلم أو التوبة أيّ نلحظ أن (حتى) استعملت للربط بين حجتين لهما توجه حجاجي واحد ، أيّ تكون الحجة التي بعدها غاية لما قبلها ، ويخدمان نتيجة واحدة من قبيل (إنصاف الناس والنهي عن الظلم) والحجة بعد (حتى) تبقى هي الأقوى حجاجيا .

ومن صور استعمال حتى للتعليل والسببية قول الإمام (عليه السلام) : (وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِه، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِبِمَا يَسَعُهُمْ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ)(٢٧)

وهنا دلت (حتى) على التّعليل أيّ ما قبلها علّة لما بعدها ، فيمكن قراءة المثال الآتي (وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته ... كي يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو)

النتيجة ↑ يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو

الرّابط الحجاجي حتى

ح١ آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته

فالعلة التي جاءت قبل (حتى) سوّغت ما جاء بعد الرّابط من نتيجة من أجل دعم النتيجة التي يتوجه إليها الخطاب ألا وهي الإندفاع بقوة لأداء المسؤولية الجهادية في صف واحد وإرادة واحدة ؛ لأنّتهيأة نفوس العسكر بسد ما ينقصهم بل جعل العطاء شاملا لمن تركوهم في الديار يصبح الهدف الذي يجمعهم والشعار الذي يوحدهم هو جهاد العدو وهو الهم الأوحد الذي يحملونه في قلوبهم .

ولو نظرنا في مثال آخر نجد أنَّ الرّابط الحجاجي (حتى) قد أفاد التساوق الحجاجي وقد ربط بين مجموعة من الحجج في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَواضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتَع)(٢٨) يتضح من هذا النّص :-

النتيجة الضمنية (تخصيص وقت لذوي الحاجات ومنحهم الحرية للتعبيرعنمظالمهم)

ح٤ يكلمك متكلمهم غير متتعتعٍ

الرّابط الحجاجي حتى

ح٣ تقعد عنهم جندك و أعوانك

ح٢ تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله

ح١ اجعل لذوي الحاجات منك قسما

فالرّابط الحجاجي ربط مجموعة من الحجج المتساوقة وقد خدمت نتيجة واحدة من قبيل (تخصيص وقت لذوي الحاجات للنظر في مظالمهم) ثم أن الحجة التي وردت بعد الرّابط هي الأقوى وقد زادت في تأكيد الحجج السابقة ،فالإمام (عليه السلام) يؤكد ضرورة أن يجعل الحاكم لذوي الحاجات من المتظلمين وقتا لينظر في مظالمهم فيمنحهم حرية التعبير بتنحية الشرطة ومن يحرسه حتى يتكلم ذو الحاجة غير متتعتع ولا خائف من تعرض الجند له ، ويمكن أن نقرأ هذا النّص قراءة أخرى فتُعد الحجج شرطا لتحقيق النتيجة المرجوة فيصبح السّياق (إن جعلت لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعد عنهم جندك ... يكلمك متكلمهمغيرمتتعتع) .

وقد أفاد الرّابط الحجاجي (حتى) معنى الغاية في قوله : (امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ ، وَسَوْرَةَحَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذلِكَ بِكَفٍّ الْبَادِرَةِ ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الاْخْتِيَارَ)(٢٩)

فالحجة الأقوى هي التي وردت بعد الرّابط (حتى) (يسكن غضبك) مقارنة مع الحجج التيتسبقه ، (املك حمية أنفك وسورة حدك) في إفادة وخدمة نتيجة (كن أبيا يرفض الظلم ويحكم نفسه عند الغضب) لأنك في حال الغضب تختل عندك الموازين وتفقد السيطرة ، فالغضب ((ثوران دم القلب إرادة الانتقام))(٣٠) والرّابط الفاء قد أتى بحجة أخرى (تملك الخيار) تدعم الحجج المتقدمة وتؤكدها ، فسكون الغضب وامتلاك النفس يحقق نتيجة امتلاك الاختيار في الحكم من عقوبة أو عفو ، وهنا يتضح الدور الحجاجي للرابط (حتى) في ربط الحجج بحسب سماتها

الدّلالية وقوتها الحجاجية فتَدَرّج الكلام من حجة قوية إلى حجة أقوى ؛ لتقرير المعاني في نفس المتلقي .

٣. الرّوابط المدرجة للحجج

الرّابط الحجاجي (لأنَّ)

يعد هذا الرّابطأهم ألفاظ التّعليل والتّفسير ، إذ ((يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه وتستعمل لتبرير الفعل كما تستعمل لتبرير عدمه))(٣١) ؛ لأن مقتضى الخطاب أداء وظيفته الحجاجية والاقناعية التي يسعى لتحقيقها في ذهن المتلقي لإثبات حكم أو نفيه أو وجوده أو عدمه (٣٢) ، بإظهار المسوّغ الذي يبرز مشروعيته ، ومن ذلك قول الإمام (عليه السلام) :(تَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صلاَحه وَصلاَحِهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ، لاَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِه)(٣٣).

النتيجة ↑ تفقد أمر الخراج بما يُصلح أهله
الرّابط الحجاجي لأنّ
الحجة الناس كلهم عيال على الخراج وأهله

وجه الإمام المخاطب إلى ضرورة الاهتمام بالخراج ومراقبته وتفقده ، ونبّه (عليه السلام) على أهمية الرّقابة على عمّال الخراج الذين يوكل إليهم عملية جمعه ، وحجته في ذلك ان الخراج المصدر الرئيس لاقتصاد الأمة حكومة وشعبا وفي تفقد عماله ضمان لتحقيق العدل بين الناس وحفظ الأموال من العبث والهدر.

والاهتمام بالخراج يقتضي العناية بالمنبع الذي يرفده ويغذيهألا وهو الأرض ومخرجاتها وقد بيّن الإمام ذلك في قو له :(وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الاَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ، لانَّ ذلكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلا)(٣٤)

النتيجة ↑ عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج
الرّابط الحجاجي لأنَّ
ح١ الخراج لا يُدرك إلا بالعمارة
ح٢ من طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد

وقد أولى (عليه السلام) المزيد من اهتمامه بعمارة الأرض بصورة تفوق الاهتمام بجمع الخراج وحجته في ذلك أن توفر الأموال واستحصالها يتوقف على جميع الوسائل لإصلاح الأرض ؛لأنها مصدر الحياة و الاقتصاد ، ولحرص الإمام (عليه السلام) على مصلحة الأمة ومصيرها قدّم حجة أقوى ضمن سلّمية معينة ليحمل متلقيه على الإذعان والتّسليم ، فجملة الشّرط تنهض بدور حجاجي توجه المتلقي الى الجّزاء ، وهذا الجّزاء يعود فيوجّه فهمه لمحتوى الشّرط ، إذ يجعل الحجة تقتضي النّتيجة ، فتغدو العلاقة ضربا من التّلازم ، بين السّبب (الشّرط) والنّتيجة (الجواب) وهو ما يعني أن التأثير متبادل بين الشّرط والجزاء(٣٥) فإن استجلاب الخراج مع انتفاء عمارة الأرض واستصلاحها يستلزم الضّرر الذي يعود عليها وعلى سكانها وصولا إلى الحاكم نفسه ، وهنا يبرز أثر الأدوات اللغوية في سوق المتلقي إلى الاقتناع بالقضية المطروحة والإقبال عليها برضا تام .

كثيرة هي الأوامر والنّواهي التي وجهها (عليه السلام) في كتابه وهي في مجملها تخدم مصلحة العباد وسعادتهم في الدّارين ؛ لأن في الإنذار سبيلا لتحصيل النّجاة قال(عليه السلام) : (وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمدِ، لاِنَّ فِيهِقَوَدالْبَدَنِ)(٣٦)

النتيجة ↑ لا عُذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد
الرّابط الحجاجي لأنّ
الحجة فيه قود البدن

إن قتل النّفس التي حرّم الله تعالى قتلهاإلا بالحق من أبشع الأعمال جرما وأشدها إثما ولا عذر لقاتل مؤمن عمدا ؛ لأنه يوجب عليه (قود البدن) أيّ القّصاص على جسم القّاتل ((والمراد إرهابه بهذه اللفظة أنها أبلغ من أن يقول له فيه قود))(٣٧) ، وفي بيان الأثر التّشريعي الدّنيوي للنتيجة التي قدمها (عليه السلام) ، فإذا طُبقتالحدود عمَّ النفع الأفراد والجماعات ، لما في تنفيذها من ردع وزجر وتخويف يُضَيق مجال الجريمة ويحد من انتشارها، وبذلك يتقرر أن الرّابط (لأنّ) قد سوّغ النتيجة فجاء ليوظف طاقة حجاجية جديدة لتقرير المعاني.

الرّابط الحجاجي (لام) التعليل

من أدوات الرّبط التي يكون ما بعدها علّة لما قبلها ، وسميت بـ (لام العلة) و (لام السبب) ، و (لام كي)(٣٨)تدخل على الفعل المضارع ((وتنصب الفعل بعدها عند البصريين بإضمار أن ، وعند الكوفيين اللام بنفسها ناصبة للفعل))(٣٩)فهي من الرّوابط التي تربط المقدمة بالنتيجة ، إذ يحرص صاحب الخطاب على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام بجعل بعضها أسبابا لبعض ؛ لأنّ النفس تقنع بالأحكام المعللة ، ومن ذلك ما جاء في قوله (عليه السلام) : (وَإِيَّاكَ وَالاْعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الاْطْرَاءِ ، فَإِنَّ ذلكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ)(٤٠)

النتيجة : العُجب وحب الإطراء من أوثق فرص الشيطان

الرّابط الحجاجي : لام التعليل

الحجة : يمحق ما يكون من إحسان

فالرّابط هنا جاء لتسويغ النتيجة التي مفادها أن العُجب في الإنسان من أكبر فرص الشيطان للوصول إلى مقصده لمحق العمل الصالح ؛ لأنّ ترتب الأجر والثواب في الأعمال مشروط بدافع مرضاة الله ومن نفس ثابتة على طاعته وترك تعقبها بالغرور والتعالي ، فلا يكفي أن يكون العمل صالحا كي يكون مقبولا عند الله وإنما يجب انصهار كل الأقوال والأفعال في منبع واحد هو (حب الله) لذلك كان التعليل بالرّابط مدعاة إلى صرف نظر العباد عن الغّرور ولتعزيز هذه الحقيقة وإيصالها إلى ذهن المخاطب والتيقن بواسطة (إن) الداخلة على الجملة الاسمية (إن ذلك من أوثق فرص الشيطان) وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا }(٤١) فالغرور ((كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان هو أخبث الغارين والغر الخطر))(٤٢) وهذا الاتساع الدّلالي لابدّ من موضح وموجه له وقد تنزلت جملة (إن الشيطان لكم عدو) ((منزلة البيان من المبين ، ولذلك فصلت ولم تعطف ، وهذه من الدلالة

ترتيب الكلام على إرادة المتكلم إذ يعلم السامع من وقوع وصف الشيطان عقب وصف الغرور أنّ الغرور هو الشيطان))(٤٣) فلما كان الشيطان هو المدبر والمنفذ لفعل الغرور جاء التّحذير والتّوضيح (فاتّخذوه عدوا) التّأكيد الملزم الطاعة وعدم المماطلة والتّسويف .

وفي قوله (عليه السلام) الرّابط (لام التعليل) قد سوّغ النتيجة لتأتي الحجة في مقام التّفسير والبيان لمضمون ما أراده الإمام ، فالرّابط يُحيل على التّلازم بين الغرور (أشد الفرص لتمكين الشيطان من قصده) ومآل من انصاع له (إبطال ومحو أثر الاحسان والعمل الصالح) وصولا الى بناء نص حجاجي مقنع ومؤثر .

٤. الرّوابط المدرجة للنتائج

الرّابط الحجاجي (كي)

أداة تدل على التعليل يُنصَب الفعل المضارع بعدها ، وقد تستعمل وحدها أو مع اللام خاصة في النفي (لكيلا) كقوله (عليه السلام) : (وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هذَا، وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا)(٤٤)

النتيجة : اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك .

الرّابط الحجاجي : لكيلا

الحجة : لا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها .

فالنتيجة مسوّغة ومبينة بواسطة الحجة وقد عمل الرّابط الحجاجي على ربط العلة (الحجة) بالمعلول (النتيجة) ، وقد تستعمل كرابط مدّرج للنتائج فيكون التقدير ، فبسبب ما أمليت عليك من حجج في عهدي لن يكون لك عذر إذا خالفت ما أُمرت وأتبعت هوى نفسك .

إن هذا الوضع في التّخاطب يجعل المتلقي واقعا تحت سلطة الخطاب الحجاجي عبر وسائله التي ترغمه على الإقتناع والتّسليم ، ولاسيما عندما يضع بين يديه النتيجة والأثر .

٥. روابط العطف الحجاجي

الرّابط الحجاجي (الواو)

تعدُّ (الواو) أم باب العطف وأصلها ؛ لأنها تدل دلالة عامة على الجمع والاشتراك ، على حين أنّ غيرها يدل على اشتراك محدد بمعنى كالتّرتيب والمهلة والشّك ...(٤٥) وتقوم بوظيفة حجاجيةتكمن في تحقيق التّواصل المعنوييربط الحجج بعضها ببعض ؛لتقوية الحجج ووضعها بشكل نسقي أفقي(٤٦) ، إذ تعدُّ الواو أكثر الأدوات حضورا وفاعلية في إيجاد التّواصل والتّآلف في داخل بنية النّص ضمن تدرّجيّة أو سلّميّة تفرضها ظروف معجمية ودلالية وتركيبية باتجاه الحجة الأقوى لدعم النّتيجة المطروحة ، كقوله (عليه السلام) : (ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الاْمُورُ، وَلاَ تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ ، وَلاَ يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ ، وَلاَ يَحْصَرُمِنَ الْفَيْءِإِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُعَلَى طَمَعٍ، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاه، أَوْقَفْهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّمابِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الاْمُورِ، وَأَصْرَمَهُمعِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ،أُولئِكَ قَلِيلٌ)(٤٧)

استعمل (عليه السلام) أفعل التّفضيل في سياق اختيار الحكام بناء على ما في التّفضيل من طاقة حجاجية تجعل المفضل في أعلى درجات السّلم الحجاجي ويمحو ما دونه ، فالرّابط (الواو) قام بالوصل بين الحجج وعمل على ترتيبها بالشّكل الذي يضمن تقوية النّتيجة (انتخاب أفضل الرّعية للقضاء) وقد أفاد تسويغمضمون النّتيجة ، فالحقوق والحريات الأساسية للإنسان يجب أن تحترم ويتمتع بها كل البشر بحكم آدميتهم وقد أُقرت في أسمى وأرفع تشريع سماوي (القرآن الكريم) باعتبار الفرد اللبنة الأساسية في بناء المجتمع السّليم ، وهذا الأمر يستلزم وجودا حتميا للسلطة لتشكل حائط صدّ وردّع لأيّ مساس بالحقوق وهي سلطة القضاء ، فكانت مهمة اختيار الحكّام بالغة الأهمية في عهد الإمام (عليه السلام) ، تكون عن دراسة جادة فلا يمنح إلا لأفضل الرّعية الموصوف بالأوصاف السّابقة .

الرّابط الحجاجي (الفاء)

من حروف العطف التي ((أفادت الترتيب في المعنى ويكون المعطوف ملاحقا متصلا بلا مهلة))(٤٨) تقوم بوظيفة حجاجية ، تربط بين النّتيجة والحجة ليكون ما

بعدها مفسرا لما قبلها في الخطاب الحجاجي التّداولي ، فضلا على دلالتها على التّرتيب والتّعقيب ، فهي تعدُّ أكثر حروف العطف ((امتلاءً بالمعاني والإشارات التي تغري الباحث في الكشف عنها واستجلاء اسرارها))(٤٩) ويظهر ذلك في قول الإمام (عليه السلام) : (وَأَمَّا بَعْدَ هذا، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ، وَالاْحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ)(٥٠) وقد بدا التّرابط التّركيبي واضحا بواسطة أداة الرّبط (الفاء) فقد ربطت بين الحجة والنّتيجة ، فكانت الحجة التي بعدها تفسيرا للنتيجة التي تسبقها ، فالوالي الذي يحتجب عن شعبه وينعزل عنه ولا يمتلك روح التّواصل مع ابناء أمته يلبي حقوقهم ويسمع مظالمهم يقتضي بالضّرورة أن يصبح جاهلا لأمورهم عاجزا عن تحقيقها ، ولتلافي هذه المضاعفات السّيئة كان من وصايا الإمام (عليه السلام) ألا يحتجب الوالي عن رعيته وأن يكون على اتصال دائم بهم ، فالفاء في قوله (فإن احتجاب الولاة) عملت على تحقيق التّدرّج والارتقاء بالحدث بوساطة خطوات متتابعة وتسلسل منتظم فقد تتجاوز وظيفتها التّرتيب الزّمني لتؤدي وظيفة سياقية ترسخ من فاعلية المهمة الأولى لها بوساطة ربطها بين النّتيجة والحجة ،وفي قوله (فيصغر عندهم الكبير) نجد الفاء قد أفادت التّرتيب والتّعقيب ، فأن عدم الانفتاح مع الشعب والاحتجاب عنه ، سيؤدي إلى مواراة أمور الناس عن الوالي وقد جاء إعلان عواقب ذلك متصلا اتصالا مباشرا من دون ارتخاء زماني عبرت عنه (الفاء).

الرّابط الحجاجي (ثُم)

حرف عطف يفيد التّرتيب والتّراخي فضلا على الوظيفة الأساسية للعطف في التّشريك والمخالفة ، وقد يوظف هذا الرّابط الحجاجي للانتقال من حالة إلى أخرى بصورة تراتبية كقوله (عليه السلام) : (وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْعَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ)(٥١) .

فالإمام (عليه السلام) يوجه عامله بالتّقرب من أهل الورع والتّقى والسّداد ، وقد دلت (ثم) على البعد المعنوي والارتقاء بين الفاضل والمفضول(٥٢) فضلا على مجيئها

لتوسيع الدّلالة بالكشف عن دقائق الأشياء ، وذكر تفصيلاتها وأبعادها الحقيقية بوساطة ما بعدها ، فقوله (ثم رضهم) هذه العبارة تمثل تتميما وبيانا لما قبلها ، إذ انضوت تحت المفهوم عينه لكن بصورة أدق وأكثر إيضاحا بوساطة حرف العطف (ثم) الذي يفيد التّرتيب والتّراخي وكأن بين الأفعال تراخيا وتباعدا زمنيا تفرضه طبيعة المعنى المعجمي لـ (رضهم)(٥٣) والمعنى عودهم على ألا يزيدوا في مدحك أو ينسبوا إنجازا عظيما لك ليس من فعلك ولجعل هذا من عادتهم وسلوكهم يستلزم مدة زمنية كفيلة بذلك ؛ لأن التّغيير في سلوكيات وعادات أي فرد لا يمكن أن يحدث خلال مدة قليلة خصوصا إذا كان التّغيير منطلقا من الإقناع والرفق والرحمة ، وهذا هو المنهج الإسلامي في ضبط السّلوك البشري وتعديله ، نلحظ أن الرّابط الحجاجي (ثم) قد أفاد في تقديم الحجج وفق سلميّة للتأثير في المتلقي .

المبحث الثاني

تدرّج الحجج بالعوامل الحجاجية

تعدّ العوامل الحجاجية ((عنصرا مساعدا لإظهار المنحى الحجاجي في اللغة ، وأداة لتحقيق جل وظائفها))(٥٤) ، فقد يسعى الباث باستخدام آليات استراتيجية إلى تغيير وجهة نظر السامع أو المتلقي وجعله يشارك المرسل أطروحته على وفق هندسة خطابية محددة تتضمن وحدات لغوية (مورفيمات) مساعدة على إظهار الجانب الحجاجي للغة ، فلا تُضيف قيمة إخبارية أو محتوى إعلامي جديد ، وإنما توظف مضمونها الاخباري بما يضمن التّوجه الحجاجي للملفوظ(٥٥)، فتقضي على تعدد النّتائج بوضع المتلقي أمام نتيجة واحدة فلا تتشعب المسالك التّأويلية ، وتلغي كل استلزام لا يصلح لإظهار النّتيجة وتقوية ما عداه(٥٦) الذي يضمن تقليص الامكانات الحجاجية للقول لتجلية مقاصد الخطاب ووضوح غاياته فهي تعمل على ((تحديد التّوجه الحجاجي للجملة ، وذلك بانتقائها صيغا محورية ملائمة للسلسلة الحجاجية))(٥٧).

فالحجاج سلسلة من الأقوال مرتبطة بعلاقة ترتيبية تنتهي بصورة كليةإلى تأكيد النّتيجة نفسها ، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجيةأن تكون تدرجيّة أو تراتبية ، إذ

يرى ديكرو وجود قوة حجاجية لكل الملفوظات ، أما ترتيبها الحجاجي فمرتبط بملفوظ ما يسميه ((موجه القوة))(٥٨) والعوامل الحجاجية هي احدى تلك الموجهات التي تعمل على تسلسل الخطاب بصورة منطقية فتحقق تناسقه من جهة وتعمل على تقوية توجه المتلقي وإذعانه بالنتيجة المقصودة من جهة أخرى ، و يجب الاهتمام بتدرّج الحجج والمفاضلة بينها وتسلسل الأفكار لحمل المتقبِّل على الموافقة والتّسليم ، وفيما سبق رأينا أن الرّوابط تربط بين متغيرين (حجة ونتيجة) أو بين حجج عدة ،على حين أن العوامل الحجاجية تعمل على قصر الإمكانات الحجاجية لأيّ نصّ وجعلها في أعلى السّلم الحجاجي(٥٩)، وكل ما عداه خارج هذا التّرتيب السّلمي وعلى هذا النّحو تتشكل عناصر السّلم الحجاجي ، بوصفها عنصرا اساسيا يوجه الخطاب وجهة تصب في تحقيق مقاصد المرسل وتحقيق الإقناع لدى المرسل إليه.

سيقف البحث هنا على تجلية دور العوامل الحجاجيّة في التّدرّج بتقديم الحجة بعد الحجة نحو التّسليم بقضية واحدة .

١. الحجاج بالقصر

يعدُّ أسلوب القصرمن الأساليب التي أضفت على الدّلالة وظيفة بيانية تأكيدية وأن الأقوال التي تتضمن أدوات القصر تكون ذات قيمة حجاجية عالية تجعل الملفوظ لا يكتفي بتحقيق الوظيفة الإعلامية للغة بل تجعله مؤديا إلى استلزامات ما نعبّر عنها بالتّوجه الحجاجي ، فالغاية من ورودها تكون لتمكين الكلام وتقديره في الذهن إذ تعمل على تقليص الاستنتاجات التّأويلية وتوجيه القول نحو وجهة واحدة ، أيّ وضع حد لتعدد الاحتمالات في شأن المفاهيم النّاجمة عن قول ما(٦٠).

العامل الحجاجي (إنما)

(إنما) أداة قصر ، مركبة من (أن التوكيدية + ما الكافة) وقد جرى نتيجة لهذا التّركيب تغيّر دلالي فـ ((ناسب ان تتضمن معها الحصر ؛ لأنّ الحصر ليس إلا تأكيدا على تأكيد))(٦١) ولا تأتي إلاّ حين يراد تصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم منها(٦٢) ولنشهد وقعها الحجاجي نقف على قوله (عليه السلام) : (وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ

الرَّعِيَّة، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاء، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَء، وَأَكْرَهَ للاْنصَاف، وَأَسْأَلَ بِالاْلْحَاف، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الاْعْطَاء، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُالْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلاْعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الاْمَّةِ)(٦٣).

الكلام جاء مصدرا بالفعل (ليس) نفيا لما سيأتي بعده من كلام ؛ لأنّ الإمام سيجعل من هذا النفي منعا جازما على أرض الواقع ، ومن ثم قوة حجاجيةتنقض على الرأي المخالف ، فضلا على أفعل التفضيل (أثقل ـ أقل ـ أكره ...) ومالهذه الصيغة من دلالة في تدرّج الحجج أيّارتقاء المرتبة الحجاجية للموصوف بهذا التّفضيل ، ولا تأتي دائما لبيان الفضل ، وإظهار المدح ، بل قد تأتي دالة على القدح والذّم وهنا لا بدّ من أن يتقرر ويترسخ في روع المخاطب أنّ أهل الخاصة لا تمثل اليد الضّاربة أو عماد الدّولة عندما تحل مصيبات الزّمان والعنصر الحجاجي الآخر هو أداة القصر (إنما) التي ((تفيد إثباتا لما بعدها ونفيا لما سواه))(٦٤) إذ صنف الإمام بوساطة استعمالها حججه الى أكثر من مستوى ولكل مستوى درجة من القوة ، أقواها هو ما بعد (إنما) فقرر هذا الخطاب أن أهل العامة في أعلى درجات السّلم الحجاجي ، وهنا يبين الإمام مدى أهمية العامة ، فهم ذّخيرة الدولة وعماد الدين وقوام السّلطة ، بخلاف الخاصة الذين هم أكره للإنصاف وأقل شكرا عند العطاء ، فإن رضا العامة الذي يشكلون الأكثرية السّاحقة من الشّعب من ذوي الحرف وغيرهم موجب لنجاح الحكومة وسخطهم موجب لدما رها .

العامل الحجاجي (النّفي والاستثناء)

تقنية حجاجية تقوم على التّعالق بين النّفي والإثبات ، فبوساطة هذا التّعالق تتولد طاقة حجاجية تقصر الشيء وتحصره بصاحبه وتقصي كل ما دونه فتكسب الكلام ((بعدا حجاجيا أعمق وأنجع في التوجيه نحو النتيجة الضمنية))(٦٥) ، التي تفضي إلى إقناع المتلقي وإفحامه فإذا تأملنا قول الإمام (عليه السلام) : (وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْض)(٦٦) نجده قد افتتح خطابه الحجاجي بأداة النفي (لا) التي يكون منفيها غير مقيّد بزمان الحال والاستقبال بل هي صالحة لهما ،

لإقصاء مفاهيم قد تخطر في ذهن المتلقي ؛لتقدم الجملة الاسمية (أن الرعية طبقات) ، وقد أكد السّياق المعنى لإثبات دلالته الأساسية بطريقة التّقديم له بصيغة النّفي والاستثناء ، وفي وجود النفي من دون الاستثناء يحول النّص الى ساحة من التّأويلات والاستنتاجات البعيدة عن المعنى المقصود وفي ذكر المقصور عليه تغلق الأبواب أمام الاحتمال والظن ، فوجود القصر في هذه الأداة حدد المقصود ووجه ذهن المتلقي إلى قبوله ،فصنّف هذا الخطاب في أعلى درجات السّلم الحجاجي وكل ماعداه من سائر المقاصد خارج هذا التّرتيب السّلمي .

وفي قوله (عليه السلام) : (فَإِنَّه لاَ يَجْتَرِىءُ عَلَى اللهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ)(٦٧) جاء تخصيص (جاهل شقي) بالفعل (يجترىء على الله) ، المسبوق ب (لا) ، التي دخلت على الجملة الخبرية الفعلية ، فتنقل دلالة الخبر من الابتدائي إلى ((جملة خبرية تلقى على سمع من هو على درجة من التردد في تقبل الخبر))(٦٨) وجاء التّأكيد بـ (لا) ، أي : (لا يجترىء على الله إلا جاهل) بطريقة النّفي والاستثناء ، فالفعل وقع عليه تأثير النّفي ، والاثبات المختص بشيء فلا يتصور معنى له ولا تكشف دلالته الحقيقية إلا بوساطة الخطاب وما يؤديه من دور في عملية التّخاطب والذي عدل عن ذكره بعد الإثبات ليقره في الذهن ويقربه إلى الفهم فالذي يتجرأ على الله بمخالفة أوامره والعمل بنواهيه هو الجاهل الشّقي ومن هنا يظهر ما للقصر من قوة حجاجية تجعل المقصور عليه في أعلى السّلم الحجاجي .

٢. الحجاج بالنّفي

إن القول المنفي يدلُّ على وجود خبر مثبت شكّل النّفي ردّ فعل عليه لإدراك النّتيجة التي يريد المتكلم توجه المتلقي إليها ((فالنفي تلفظ على تلفظ أي أنه توجيه على توجيه ، ولذلك بمجرد إدماج عامل النفي تتحدد النتيجة (ن) وبسرعة))(٦٩) ؛ لتسليم المتلقي بها وهذه هي وظيفة اللغة الحجاجية .

يريد الإمام (عليه السلام) لواليه أن يتبع قانون صياغة الدّولة ، ولو لم يعطِ نظام حركة الحياة في (افعل) و (لا تفعل) لفسد بناء نظام دولة رصينة ، ويشكل الكتّاب أحد الأركان المهمة لهيكلية الدّولة ؛ وذلك لخطورة المهام التي تقع ضمن مسؤوليتهم ، و

كان لابدّ من أن تتوافر فيهم صفات الأمن والضّبط وعدم التّهاون في أداء الأعمال ، وهذا ما وصّى به (عليه السلام) في نص كلامه (ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الاْخْلاَقِ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُالْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِىءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلاَف لَكَ بِحَضْرَةِ مَلاَ ، وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ الْغَفْلَةُعَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلاَ يُضعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفسِهِ فِي الاْمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَل)(٧٠)فقد شكّل النّفي بالعامل الحجاجي (لا) دافعا ومحفزا للمتلقي على الإقتناع بقصد المتكلم ، فقد حقق وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبِّل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى نتيجة (اخصص رسائلك المتضمنة لأسرار الدولة بمن فاق غيره في جميع الأخلاق الصالحة) فقد أحدث النّفي هنا مقابلة بين حال من وصّى (عليه السلام) باختيارهم من الكتّاب بحال غيرهم لتفسير أطروحته وتنبيه المتلقي إلى أن من لا تطغيه الكرامة فيجره إلى مخالفة الوالي في حضور جماعة من النّاس فيصدع بمكانته بينهم والذي لا تؤثر غفلته على أداء عمله على وجه الصّواب لحذاقته ونباهته ويكون خبيرا بطرائق المعاملات فلا يعجز عن الخروج من عقد عُقِدَ كان فيه ضررا ما قد فاق غيره في جميع الأخلاق الصّالحة التي تختلف عن صفات الآخرين وحمل المخَاطب على موافقته في مضمون النّفي ، ومن ثم توجيهه إلى رفض غيره ، فيكون النّفي عامل تحفيز تداولي للمتلقي للإذعان لهذا القصد المتمثل بامتياز اختياره (عليه السلام) وفشل ما دونه ، وهنا لا يخفى ما للنفي من وظيفة تحويلية وهو ((باب من أبواب المعنى الذي يهدف به المتكلم إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده وتحويل معنى ذهني فيه بالإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه ، وذلك بصيغة تحتوي على عنصر يفيد ذلك))(٧١) ، فالحجج

المنفية هنا جاءت متدرّجة من الأضعف مدلولا إلى الحجة الأقوى مدلولا ، لتؤول بمجملها إلى نتيجة واحدة .

النتيجة(اخصص رسائلك المتضمنة لأسرار الدولة بمن فاق غيره في الاخلاق الصالحة جميعها)

ح٥ لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور

ح٤ لا يعجز عن إطلاق ما عُقِدَ عليك

ح٣ لا يُضعف عقدا أعتقده لك

ح٢ لا تقصر به الغفلة

ح١ لا تبطره الكرامة

فبدأ بأقلها ، يعدّ احترام المرؤوس لرئيسه من نافلة العمل ، بل من الواجبات ، فالحجة الأعلى هي الحجة الأقوى في دلالتها على الأخلاق الصالحة كلها ، فالعارف لقدر نفسه يجعله مدركا تماما لإمكانياته وقدراته وهي نقطة انطلاق في عقد أيّ معاملات ناجحة وتلافي ما يعود بالضّرر ، فكل دليل يستلزم منطقيا ما تحته من أدلة.

٣. الحجاج بالتّوكيد

يرد اسلوب التّوكيد وفاقا لأوضاع المرسل إليه ، وعليها تترتب أحوال الخبر، فإذا كانت الجملة خالية من المؤكدات فـ (الخبر ابتدائي) ويستعمل للمتلقي الخالي الذّهن إذيراد منه الإخبار ، وإذا زيد فيها مؤكد واحد فـ (الخبر طلبي) ويستعمل مع المتلقي المتردد في تصديق الخبر لإثبات ما بعده ولدفع الشّك والظنّ ، أما إذا زيد فيها أكثر من مؤكد فـ (الخبر إنكاري) ويستعمل عندما يكون المتلقي منكرا للخبر لرد إنكاره ، ومن هنا يظهر البعد الحجاجي لهذا الأسلوب بترتيب درجاته لغويا(٧٢) ، فكل هذا التّدرّج لمراعاة أحوال المتلقي عند إنتاج الخطاب الخبري لقصد إقناعه والتأثير فيه ، فالتّوكيد ((هو العامل الرئيس في ظهور المفهوم ، فتجريد الكلام فيها من طرائق التوكيد من شأنه أن يفقده طاقته الحجاجيه ويرده إلى طبيعته الإخبارية الوصفية))(٧٣).

ومن ذلك ما ورد في قوله (عليه السلام) : (فَامْلِكْ هَوَاكَوَشُحَّ بِنَفْسِكَعَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الاِنْصَافُ مِنْهَا فِيَما أَحْبَبْتَ أَوكَرِهْتَ) (٧٤) فقد ألقى الإمام خطابه بفعل الخبر الابتدائي (فاملك هواك وشُحّ بنفسك) ؛ لأنّ المرسل إليه خالي الذّهن من أي حكم سابق ، فاكتفى (عليه السلام) في حجاجه بأول مرتبةلسوق الخبر مجردا من التّأكيد ، لعلمه أنّ المرسل إليه واثق من صدق خطابه ، فهو من حدود الله المفروضة الطاعة لما فيها من صلاح الفرد والمجتمع وهذا ما جعل خطابه مستغنيا عن مؤكدات الحكم ، فالسّيطرة على نزعات النّفس بإمساكها عما تميل إليه وترغب ، فليس من الحرص إيفاؤها كل ما تحب ، فيجب البخل بالنّفس عن الاسترسال في غير الحلال ((فربُّب محبوب يعقب هلاكا ، ومكروه تحمد عاقبته))(٧٥) ، وهذا مصداق لقوله تعالى{وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}(٧٦) ، فالمفهوم من الجملة الأولى (فاملك هواك وشُحّ بنفسك) يؤكده المنطوق في الجملة الثانية (فإنّ الشُحّ بالنّفس الانصاف منها أحبت أو كرهت) فهذه الجملة تعليل لما سبقها ، وهي إنما تأتي لتُعين بمنطوقها المفهوم الذي تقتضيه خطة الخطاب ، فألقي الخبر هنا الى المرسل إليه مؤكدا وهذا لا يعني أن لديه شكاً في قبول أطروحته وقت التّلفظ بالخطاب ، وإنما ليحفز المرسل إليه إلى المبادرة في إنجاز ما أُمر به وتذكيره بما ينبغي عليه ((وشأن جمهور الناس الغفلة عن العاقبة والغاية أوجهلها ، فكانت الشرائع وحملتها من العلماء والحكماء تحرض الناس على الأفعال والتروك باعتبار الغايات والعواقب))(٧٧).

فقد تساوق التّسويغ مع التّوكيد فبلغت هذه الجملة كل هدف وغاية قصد إليها الإمام (عليه السلام) وحالت دون الغموض الذي قد يعتلي الخطاب فيلغي وظيفته الحجاجية ومقصده الإقناعي .

المبحث الثالث
تدرّج الحجج بالصّيغ الصّرفية

١. أفعل التفضيل

صيغة اشتقاقية مانحة لمعنى وهذا جُلّ عمل النّظام الصّرفي ، تدل على شيئين اشتركا في معنى ، فزاد أحدهما على الآخر(٧٨)وهذا يؤكد سلّمية هذه الصّيغة الصّرفية وتدرّجها من الأدنى إلى الأعلى ويعني في الحجاج أنّ في التّفضيل طاقة

حجاجية تجعل المفضل في أعلى مراتب السّلم الحجاجي سواء أ كان هذا التّرجيح في صفة مدح أم ذم . سنقف الآن على هذه الصّيغة لنلحظ دورها الحجاجي في قوله (عليه السلام) : (وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا)(٧٩).

فمن أيديولوجية الإمام (عليه السلام) السياسية والمبادىء الاجتماعية التي يدعو الى اعتمادها لتهذيب المجتمع إبعاد وطرد كل من يسعى إلى إفشاء مثالب الناس بما يحط من كرامتهم ومكانتهم ويؤدي إلى تسقيطهم في المجتمع ؛ لأن معائب النّاس من الأمور الواجب سترها ، وهذا جسدته صيغة التّفضيل (أبعد ، و أشنأ ،و أطلب) التي تدل على الزّيادة في أصل الفعل غالبا ، وقد أُضيفت إلى المُفضّل لقصد الزّيادة على من أُضيف إليه ولتضيفه إياه في أعلى السّلم ، أيّ يجب على الوالي أن يكون أقصى رعيته منه وأبغضهم خلقا عنده هو الأشد طلبا لمناقص النّاس بحجة التّقرب إلى الوالي بإظهار النصح له .

يعتمد المحاجج استراتيجية خطابية محددة تهدف إلى التّوجه الحجاجي للخطاب لتحقيق غايته في الإقناع ، ومن هذه الآليات كشف حجج المتلقي الافتراضية والرّد عليها ؛ لأن الخطاب الحجاجي هو خطاب مناهض لخطاب آخر مطروح حقيقة أويُفترض وجوده في ذهن المتلقي ،وقد تدرّجت الحجج في الخطاب بحسب الرّد على حجج المتلقي ، فكان ترتيبها على النّحو الآتي : -

النّتيجة : (ليكن أبعد رعيتك منك و أبغضهم عندك الأشد طلبا لمعائب الناس)

ح١ : إن في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها

ح٢ : إن السّاعي لفضح عيوب النّاس هو نمّام وإن تشبه بالناصحين

٢. صيغة المبالغة

إن الانتقال من صيغة الى أخرى ضمن الأوصاف المشتقة من الصّيغ هو بناء لسلم حجاجي في النّظام الصّرفي ،إذ يتفاضل المرسل بينها بما يخدم الحجة ؛ لأن الخطاب الحجاجي مؤسس على مبدأ إقناع المتلقي ، فيعمد إلى اسم الفاعل إذا أراد الحدوث والتّجديد ، وإلى الصّفة المشبهة إذا أراد الملازمة والثّبوت للصفة ، ويتصدر السّلم عند صيغة المبالغة للإنعام في الأمر(٨٠) وليكسب المعنى ترسيخا وتوثيقا يؤدي

بالذّهن الى التّسليم ، فصيغ المبالغة من الآليات ((التي تفيد التنصيص على التكثير في حدث اسم الفاعل كمّا وكيفًا))(٨١) ، ومن ذلك قوله (عليه السلام) : (وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ)(٨٢)فقد استعمل وزن (فعيل) ؛ لأنّ السّمع ليس وصفا عرضيا غير ثابت ، فالسّمع لديه سبحانه ثابت لا يعتريه عوارض الضّعف أو الصّم ،وقد أفصحت صيغة المبالغة حجاجيا عن استجابة الدّعاء وليس درجة تكرار الفعل ، وتعدُّ الحجة المتضمنة لـ (صيغة المبالغة) في أعلى السّلم ؛ لأنها تُمثل الرّادع الأكثر قوة في رد حجج الخصم .

وفي قوله (عليه السلام) (إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَاللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ) (٨٣ جملة (فإن الله يُذلُّ كل جبّار) تسويغ للتحذير المتقدم وقد تصدرت الحجة المشتملة على صيغة المبالغة السّلم الحجاجي فهي لا تقف على حد الإعراب عن الايغال والاصرار على موقف سلبي متمثل بالانغماس في عدم الإيمان حيث الاستخفاف بحقوق النّاس والتّسلط القاهر عليهم ، وإنما قدمت الصّيغة المسوّغ للعقوبة (يُذلُّ) المترتبة عليها .

الخاتمة

يمكن عرض النّتائج التي توصل إليها البحث على النّحو الآتي : -

١. الحجاج ذو وظيفة تداولية لا يرمي فيه المرسل الأخبار فحسب بل يقصد توجيه المحاجَج وجهة معينة في موقف محدد عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلم ، فهو استراتيجية تواصلية ، والمشاركة في اعتقاد المرسل لا تتسم بصفة الإكراه ، و إنما تتبع سبلا استدلالية متنوعة وظيفتها الإقناع برأي المحاور ، فكان الآلية الأبرز التي استعان بها الإمام (عليه السلام) لإيصال مقاصده .
٢. أن محاججة المتلقي وإقناعه بترسيخ رسالة ما في ذاكرته ، تعتمد حججا منطقية توجه أنظاره إلى حقائق الأشياء ، وهذه الحجج لا تتعدد فحسب وإنما تتفاوت في طاقتها الحجاجية التي تسهم بالتّوجه الحجاجي لهذا الملفوظ إلى القصد الذي يريده المتكلم ، وهذا هو الذي استدعى نظرية السّلم الحجاجي فكانت ظاهرة مميزة اعتمدها (عليه السلام) لطرح ايديولوجية بناء دولة وتأسيسها من كل جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، فكان لا بدّ من أن يكون الإقناع منطلقا في

إرساء أُسسها و إن كان المرسل إليه واثقا من صدق المرسل ، وإنما ليحفز المرسل إليه إلى المبادرة في إنجاز ما أُمر به وتذكيره بما ينبغي عليه

٣. أن السّلم الحجاجي يقوم على توظيف فئة حجاجية ، تكون بمنزلة دعامة استدلالية لغرض المرسل الذي من أجله كانت العملية التّخاطبية ، ويتحقق الحجاج بالسّلم الحجاجي باستعمال أدوات لغوية ، وآليات شبه منطقية فتضمن تسلسل الخطاب بوساطة ربطها المضمون الحجاجي لقول ما والنتيجة المترتبة عليه ، وقد تجلت مظاهر السّلم الحجاجي في كتاب أمير المؤمنين لمالك الأشتر بثلاثة أساليب لغوية (الرّوابط الحجاجية ، والعوامل الحجاجية ، والصّيغ الصّرفية) .

٤. أن الرّوابط الحجاجية من العناصر اللغوية التي تعمل على هندسة المفردات وإيقاعها ؛ إذ تتوزع ضمن خلايا النّص ، فتعمل على ربط أجزائه شكلا ومضمونا ، لذا فهي تعد من عناصر انسجام الخطاب وتماسكه .

٥. أن العوامل الحجاجية تعمل على قصر الإمكانات الحجاجية لأيٍّ خطاب وجعلها في أعلىالسّلم الحجاجي ،وكل ما عداه خارج هذا التّرتيب السّلمي .

٦. أن الانتقال من صيغة إلى أخرى ضمن الأوصاف المشتقة هو بناء لسلم حجاجي إذ يتفاضل المرسل بينها بما يخدم الحجة .

ملخص البحث

الحجاج خطاب لساني تداولي ، يعتمد الحجة المنطقية لإقناع الآخرين والتّأثير فيهم بما يعرض عليهم من أطروحات ، فهو تفاعل بين طرفي الخطاب ، لا يكتفي فيه المرسل بالإخبار فحسب بل يقصد توجيه المحاجَج وجهة معينة في موقف محدد وعليه ركزت التّداولية على علاقات الاتساق والأدوات اللسانية المحققة له .

كل الظّروف المحيطة بالخطاب يمكن للمتكلم أن يستثمرها في صورة حجج تقود الى النّتيجة التي يريد إيصالها للمتلقي ، وهذه الحجج لا تتعدد فحسب بل إنها تتفاوت في القيمة الحجاجية أيّ في قوتها الدّلالية والتّأثيرية في التّوجه الخطابي للقصد الذي يروم المتكلم الوصول إليه ، وأن تعدد الحجج غير المتساوية في الطّاقة التي تؤهلها للوصول الى النّتيجة هو الذي استدعى نظرية السّلم الحجاجي فكانت ظاهرة مميزة استعان بها الإمام علي (عليه السلام) للتأثير والإقناع وإيصال المقاصد الحجاجيةالتي

يريدها في تعاطيه مع قضايا عصره ، لدرايته العالية بالخطاب ودواعيه ، فكان اختيار هذه المدونة لتكون حقلا لهذه الدّراسة الموسومة (السّلم الحجاجي في كتاب الإمام عليّ (عليه السلام) لمالك الأشتر لما ولاّه مصر)

ABSTRACT

It is an interaction between the two parties of the speech, not only the sender of the news, but intended to direct the argument a certain point in a specific position and therefore focused on the deliberative relations of consistency and linguistic tools achieved.

All circumstances surrounding speech can be invested by the speaker in the form of arguments leading to the result that he wants to deliver to the recipient, and these arguments are not only multiple, but it

The difference in the value of the pilgrims, ie, in their semantic and influential power in the rhetorical direction of the intention intended to reach the speaker, and the multiplicity of unequal arguments in the energy that qualifies it to reach the result is called the theory of the pilgrimage peace was a distinctive phenomenon used by Imam Ali (peace be upon him) to influence and persuasion And the delivery of the objectives of the pilgrims that he wants in dealing with the issues of his time, for his knowledge of the high rhetoric and reasons, and it was the choice of this code to be a field for this study tagged (Pilgrimage in the book of Imam Ali (peace be upon him) to the Malik of Al-Ashtar Why Egypt).

هوامش البحث

١. ظ : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٧٦.
٢. الحجاج في كلام الامام الحسين (عليه السلام) : ٣٣.
٣. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٧٧.
٤. م . ن : ٢٧٧.
٥. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٣٦ .
٦. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٧٨ .
٧. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٧٥ – ٧٦ .
٨. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٧٨ .
٩. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٥١ .
١٠. استراتيجيات الخطاب : ٥٠٨ .

١١. اللغة والحجاج : ٥٥ .
١٢. الجنى الداني : ٦١٥.
١٣. رصف المباني : ٢٧٨ – ٢٧٩ .
١٤. اللغة والحجاج : ٥٨ .
١٥. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٧٥ – ٧٦ .
١٦. ظ : مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ١ / ٢٩٠ .
١٧. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ١٠٦ .
١٨. معاني الحروف : ٧١ .
١٩. م . ن : ٦ .
٢٠. ظ : مدخل الى علم النص : ١٠٧ .
٢١. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ١١١ .
٢٢. ظ : مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ١١٣ .
٢٣. السلالم الحجاجية في القصص القرآني : ١٥٠ .
٢٤. اللغة والحجاج : ٧٣ .
٢٥. ظ : شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه : ٢٠٣ .
٢٦. شرح نهج البلاغة : ١٧/ ٣٤ .
٢٧. م . ن : ١٧ / ٥١ .
٢٨. م . ن : ١٧ / ٨٧ .
٢٩. م . ن : ١٧ / ١١٣ .
٣٠. المفردات : ٣٦١ .
٣١. استراتيجيات الخطاب : ٤٧٨ .
٣٢. ظ : المنطق الفطري في القرآن الكريم : ٩٥ .
٣٣. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٧٠ .
٣٤. م . ن : ١٧ / ٧٠ .
٣٥. ظ : الحجاج في القرآن : ٤٠٤ – ٤٠٥ .
٣٦. شرح نهج البلاغة : ١٧ /١١١.
٣٧. م . ن : ١٧ / ١١١ .
٣٨. ظ : كتاب اللامات : ٦٠ ، وفقه اللغة وسر العربية : ٥٢٤ .
٣٩. كتاب اللامات : ١٤ .

٤٠. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ١١٣ .
٤١. فاطر : ٥- ٧ .
٤٢. المفردات : ٣٥٨ – ٣٥٩ .
٤٣. التحرير والتنوير : ٢٢ / ٢٦ .
٤٤. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ١١٤ .
٤٥. ظ : مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ٢ / ٣٥٤ .
٤٦. ظ : استراتيجيات الخطاب : ٤٧٢ .
٤٧. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٥٨ – ٥٩ .
٤٨. الجنى الداني : ٦٣ .
٤٩. خطاب الانبياء : ٢٣٢ .
٥٠. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٩٠ .
٥١. م . ن : ٤٤ .
٥٢. ظ : اساليب العطف في القرآن الكريم : ١٧٥ .
٥٣. ظ : لسان العرب : (روض) .
٥٤. العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ٤٩ .
٥٥. ظ : الحجاج مفهومه ومجالاته : ١ / ٦٣١ .
٥٦. ظ : م . ن : ١ / ٣٠٩ .
٥٧. الحجاج مفهومه ومجالاته : ٢ / ٢٥٤ .
٥٨. ظ : الحجاج في اللسانيات التداولية .. دراسة لنماذج من القرآن الكريم (بحث نت) .
٥٩. ظ : رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة – دراسة حجاجية - : ١٣٠ .
٦٠. ظ : م . ن : ١٤٠ .
٦١. الجنى الداني : ٣٩٧ .
٦٢. ظ : دلائل الاعجاز : ٣٣٠ .
٦٣. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٣٥ .
٦٤. دلائل الاعجاز : ٢٥٣ .
٦٥. الحجاج مفهومه ومجالاته : ١ / ٣٤ .
٦٦. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٤٨ .
٦٧. م . ن : ١٧ / ١٠٦ .
٦٨. التحليل اللغوي : ٢١٧ .

٦٩. العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ٤٩ .
٧٠. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٧٥ .
٧١. في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي : ١٥٤ .
٧٢. ظ : مفتاح العلوم : ١٧٠ – ١٧١ .
٧٣. الحجاج في القرآن : ٢٨٣ .
٧٤. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٣١ .
٧٥. نهج البلاغة : ٥١٢ .
٧٦. البقرة : ٢١٦ .
٧٧. التحرير والتنوير : ٢ / ٣٢١ .
٧٨. ظ : عمدة الصرف : ١٠٨ ، و ظ : الكافية في النحو : ٢ / ٢١٢ .
٧٩. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٣٦ .
٨٠. ظ : الكتاب : ١ / ١١٠ .
٨١. تصريف الاسماء : ٨٧ .
٨٢. شرح نهج البلاغة : ١٧ / ٣٤ .
٨٣. م . ن : ١٧ / ٣٣ .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١. أساليب العطف في القرآن الكريم : د . مصطفى حميده ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، ط١ (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) .
٢. استرتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة – ليبيا ، ط١ (٢٠٠٤ م) .
٣. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، دار الجماهير للنشر والتوزيع ، (د . ت).
٤. تصريف الاسماء : محمد الطنطاوي ، الجامعة الاسلامية – المدينة المنورة ، ط٦(١٤٠٨هـ).
٥. الجنى الداني في حروف المعاني : الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) ، تح : د. فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ (١٤١٣هـ) .

٦. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية : عبد الله صولة ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط١ (٢٠٠١ م) .
٧. الحجاج مفهومه ومجالاته : حافظ اسماعيل علوي ، عالم الكتب ، اربد – الاردن ، ط١ (٢٠١٠ م) .
٨. خطاب الانبياء في القرآن الكريم ، خصائصه التركيبية وصوره البيانية : د . عبد الصمد عبد الله محمد ، مكتبة الزهراء - القاهر، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) .
٩. دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق وتقديم : محمد رضوان الداية ، د . فايز حداد ، مكتبة سعد الدين – دمشق ، ط٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .
١٠. رصف المباني في شرح حروف المعاني : احمد بن عبد النور المالقي ، تح : احمد محمد الخراط ، مطبعة زيد ثابت – دمشق ، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م) .
١١. شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه : التفتازاني الشافعي سعد الدين مسعود بن عمر ، تح : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية – لبنان ، (١٩٩٦م).
١٢. شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد (٦٥٦هـ) ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط٢ (١٩٦٧ م) .
١٣. عمدة الصرف : كمال ابراهيم ، مطبعة النجل – بغداد ، (د . ت) .
١٤. العوامل الحجاجية في اللغة العربية : د. عزّالدين الناجح ، مكتبة دار النهى ، صفاقس – تونس ، ط١ (٢٠١١م) .
١٥. فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور الثعالبي (٤٢٩ هـ) ، مطبعة الاستقامة – القاهرة ، (١٩٥٩ م) .
١٦. في التحليل اللغوي – منهج وصفي تحليلي - ، خليل احمد عمايرة ، تقديم : د. سلمان حسن العاني ، مكتبة المنار ، الزرقاء – الاردن ، (١٩٨٧ م) .
١٧. الكافية في النحو : أبو عمرو عثمان بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) ، شرحه رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .
١٨. الكتاب : لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، الناشر مكتبة الخانجي– القاهرة ، ط٤ (٢٠٠٤ م).
١٩. كتاب اللامات : ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي (٣٣٧ هـ) ، تح : مازن المبارك ، دار الفكر – دمشق ، ط٢ (١٩٨٥م) .
٢٠. لسان العرب : ابو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، دار صادر للطباعة والنشر – بيروت ، (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) .

٢١ . اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط١ (٢٠٠٦ م) .
٢٢. اللغة والحجاج : د . ابو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، ط١ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م) .
٢٣. مدخل الى علم النص – تطبيقات لنظرية روبرت دي بوكراندولفانجدريسلر ، الهام ابو غزالة ، وعلي خليل احمد ، الهيأة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ط٢ (١٩٩٩م).
٢٤. معاني الحروف : ابو الحسن علي بن عيسى، تحقيق وتقديم : عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة – جدة ، ط٣ (١٩٨٤م) .
٢٥. مغني اللبيب عن كتب الاعرايب : ابن هشام جمال الدين الانصاري ، تح : مازن المبارك ومحمد علي حمدالله ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ط٥ (١٩٧٩م) .
٢٦. مفتاح العلوم : يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي السكاكي (٦٦٦هـ) ، تح : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ (١٩٨٧ م) .
٢٧. المفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني ، تحقيق وضبط : محمد سيد كبلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .
٢٨ . المنطق الفطري في القرآن الكريم : محمود يعقوبي ، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر ، (د . ت) .
٢٩ .نهج البلاغة : شرح الشيخ محمد عبده ، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .

الرسائل والاطاريح

١. الحجاج في كلام الامام الحسين (عليه السلام) :عايد جدوع حنون (أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، (٢٠١٣م).
٢. رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة – دراسة حجاجية - . رائد مجيد جبار الزبيدي (أطروحة دكتوراه) ، كلية الاداب– جامعة البصرة ، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) .
٣. السلالم الحجاجية في القصص القرآني – مقاربة تداولية - : بوسلاح فايزة (أطروحة دكتوراه) ، جامعة وهران ١احمد بن بلة – الجزائر، (٢٠١٤م) .

شبكة المعلومات (الانترنت)

الحجاج في اللسانيات التداولية – دراسة لنماذج من القرآن الكريم - ، ابن احمد عالم فايزة ، جامعة مستغانم – الجزائر ، http://www.kalema.net/v1/?rpt=١٠٥٨&art.